1430هـ/2009م

الزاوية السنوسية نشأتها ودورها الاقتصادي (1841–1911م)

م.م. محمد علي محمد عفين*

تاريخ التقديم: 2008/11/17 تاريخ القبول: 2009/1/28

المقدمـــــة

بدأ الضعف يدب في بنية الدولة العثمانية، ولاسيما في اواخر عهد السلطان سليمان القانوني (1520–1566) واستمر هذا الضعف واصبح في اعلى مراحله في اواخر القرن الثامن عشر الميلادي وتكالب الدول الاستعمارية في تلك الفترة للانقضاض على الولايات العربية فضلاً عن الزحف الاستعماري الاوربي على القارة الافريقية الذي كان يقابله ضعف الحكم العثماني ولاسيما في الفترة (1835–1911) وقد ادت تلك العوامل كلها إلى تفكيك المجتمع وتجزئته بعد أن عم الفساد بعض مجالات الحياة وتفشى الفساد بين بعض كبار الولاة فأدت هذه الاحوال إلى ظهور بعض المصلحين للعمل على نهضة الأمة الإسلامية ونقل الناس إلى واقع أفضل فكان ان ظهر في القرن التاسع عشر عدد من المصلحين الذين أسسوا حركات اصلاحية في أجزاء مختلفة من العالم الإسلامي ومنها شمال افريقيا (المغرب العربي)، فكانت الحركة السنوسية واحدة من الحركات الاصلاحية التي ظهرت في تلك الفترة والتي استطاعت بفضل تنظيمها الدقيق أن تؤسس كياناً خاصاً مستقلاً بها وذلك بعد ان نجحت في بناء الزاوية السنوسية التي كانت الدعامة الاساسية والتي بفضلها نجحت الحركة السنوسية في نشر مبادئ الإسلام في مجاهل افريقيا.

* قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

الحياة الاقتصادية في الزاوية السنوسية (1841–1911)

تعد الحياة الاقتصادية في الزاوية* السنوسية حياة مجتمع بأكمله فالحركة السنوسية** لم تكن حركة دينية حاولت نشر الدين الإسلامي فحسب، بل تجاوزت ذلك لتصبح مجتمعاً بكامل مقوماته الدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولم تكن زوايا السنوسية التي انتشرت في مناطق طرابلس الغرب اماكن عبادة وتعلم أمور الدين فحسب وانما كانت اشبه بالمؤسسات التي تقوم بادارة حياة المجتمع حيث تعمل على حل النزاعات [1] التي كانت تحدث بين الافراد والقبائل المختلفة واعتبارها حرماً آمناً لمن دخلها واستجار بها ولا يجوز حمل السلاح

* سنتطرق اليها فيما بعد.

** هي الحركة الاصلاحية الاسلامية التي اسسها السيد محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسيني الادريسي المولود في مستغانم في مقاطعة وهران الجزائرية في 12 ربيع الاول عام 1202هـ المصادف 1787م، وكان يوم مولده مصادفاً لمولد النبي لذلك سمي محمداً تيمناً باسم الرسول (ﷺ)، وقد تربى في بيت علم ودين وتتلمذ على يد اكبر مشايخ عصره انشأ هذه الحركة بعد ان تبحر في اصول الدين الحنيف، وعظمت همته ورسخت اغراضه لما كان يصبوا اليه من تحقيق اهدافه وخاصة عندما صار يحزنه ما كان يراه من سوء حال المسلمين وما هم عليه من تأخر. محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي (القاهرة: 1948) ص48؛ كولا فولايان " حركة المقاومة في ليبياً، ترجمة: محمد علي داهش ومحمد عبد الله، مجلة افاق عربية، المجلد 6، العدد (2–4) (بغداد، 1979)، ص108؛ احمد النائب: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، تحقيق: طاهر احمد الزاوي، مطبعة الاستقا، (القاهرة، 1961) ص255؛ ارشيف رئاسة الوزراء باستنبول: رقم البحث (3961) اوراق يلدز، رقم القسم (18) رقم الاوراق (553/377) رقم الظرف (93) رقم الكارتون (36) الوثيقة غير مؤرخة.

(1) شكري، المصدر السابق، ص11.

واطلاق النار داخل هذا الحرم وعدم المشاجرة وإعلاء الصوت بالغناء والخصام، كما يمنع رعي الحيوانات فيها[1].

اعتمدت السنوسية على الزاوية قاعدة لها ومنطلقاً لما تصبوا إليه حيث جمعت السنوسية بين منهج التوحيد والتصوف في طرح جديد كأساس لبناء الشخصية المسلمة المنوط بها اصلاح المجتمع[2].

كانت الزوايا السنوسية بعيدة عن انظار الادارة العثمانية* حيث بنيت في داخل الصحراء والواحات مثل (جالو، اوجلة، الكفرة، سيوه، قرو) كما كانت المراكز الاساسية للحركة السنوسية في الجغبوب (1856–1859) والكفرة (1859–1899) وقرو (1899–1902م) وكلها كانت مراكز ومحطات مهمة لتجارة القوافل التي ازدهرت في تلك الفترة وأصبحت مصدراً اساسياً لدخل الحركة السنوسية بعد عام 1870 لان السنوسية في ذلك العام اصبحت لها المقومات الناجحة التي تؤهلها لتصبح دولة ومن تلك المقومات الأرض، الأتباع، الإقتصاد، الإدارة[3]. أي انها تبنت ادارة بديلة للادارة العثمانية في طرابلس الغرب فكان

(1) جلال علي عامر، الحركة السنوسية، مؤسسها، فكرها، تنظيمها، بحث منشور على شبكة الانترنيت، موقع المختار، 18 كانون الثاني 2002، ص7؛ الدجاني، الحركة السنوسية، ص238.

(2) نيقولا زيادة، السنوسية بدأت دعوة إلى كتاب الله والسنة ثم ترابطت زواياها فكانت دولة حاربت الاستعمار الايطالي والفرنسي بقوة، مجلة الفكر العربي، العدد (16) (الكويت: 1960) ص38.

* اتسمت العلاقة بين السنوسيين والدولة العثمانية بالشك المتبادل نظراً لرغبة مؤسسها في بناء حركة اسلامية اصلاحية، فكانت طبيعة العلاقة بينهما صعبة وعلى الرغم من الاختلاف فيما بين الدولة العثمانية والسنوسية فأن الاخيرة لم تكن تنوي محاربة الدولة العثمانية لما كان يجمعها من روابط اسلامية، ولا تريد ان تكرر ما حدث مابين العثمانين وحركة محمد بن عبد الوهاب 1703–1791م حيث اسسها في نجد والتي حاربت الدولة العثمانية لم تستقم لها الامور لسنين طويلة حتى تم لها الامر بحد السيف وغلبة السياسة، فاستفاد السنوسيون من تلك التجربة بأنهم حاولوا عدم الاصطدام مع ادارة الحكومة المركزية في الدولة العثمانية وفي الوقت نفسه نشر مبادئ دعوتها ومن ثم استطاعت ان تؤسس لها كياناً خاصاً بها وذلك عندما اعترفت الدولة العثمانية بزاويا السنوسية، واعفائها من الضرائب ومن ثم جعل الضرائب امراً منوطاً بها. عجيل النمشي، السنوسية تعد للعمل الجهادي لمساندة دولة الخلافة، بحث منشور على شبكة الانترنيت موقع الفسطاط، 4 شباط

مقابل هذا ان يكون لها مورداً اقتصاديا، وتم لها ذلك بأزدهار حركة تجارة القوافل التي ساعدت على الازدهار الاقتصادي وعلى نشر الإسلام ومن أهم القبائل التجارية في برقة قبيلة المجابرة* التي تولت تجارة القوافل عبر الكفرة منذ عام 1840[1] وفي تلك الحقبة كانت هناك علاقات تجارية مع مصر عبر الحدود الشرقية لطرابلس وكذلك مع دارفور، وكانت مصر تعتمد على الواردات من السودان اعتماداً كبيراً ومن أهم تلك الواردات: الرقيق، العاج، وريش النعام، والصمغ وبعض صادرات دول افريقيا، وكانت تلك الموارد تمر عبر طرابلس الغرب عن طريق الصحراء بعد المرور أولاً بالمدن الداخلية مثل (كاتسينا وكاتووكوكوا) مجتازة مدن الأسواق الجديدة في (أبشي ووارا) حيث يعبر هذا الطريق مدن الواحات مثل مزرق وجالو وأوجلة متجهاً شرقاً ماراً بـ (سيوة) حتى يصل إلى القرى الصغيرة في منطقة الأهرامات خارج القاهرة [2] بدأت تجارة هذا

2004، ص2؛ حميدة، المصدر السابق، ص125-126؛ الاسرة السنوسية من وجة نظر فرنسية، مجلة التضامن (باريس: 1984) العدد (77) ص32.

(3) علي عبد اللطيف حميدة، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا، دراسة في الاصول الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لحركات وسياسات التواطؤ ومقاومة الاستعمار (1830-1932م) مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت: 1995) ص131.

* هي التي تولت تجارة القوافل عبر الكفرة منذ عام 1840 وكان لها تأثير كبير في ازدهار التجارة في الطرق التي تربط مصر عبر الحدود الشرقية لطرابلس الغرب وكذلك مع دارفور وازدهرت التجارة في هذا الطريق منذ اوائل القرن 19 نتيجة للجهود التي بذلها المسؤولون على هذا الطريق من قبيلة المجابرة تجار واحات جالو تريس ولاس، تجارة القوافل بين ليبا ومصر، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس، كانون الثاني 1981م العدد (1) ص89؛ سلفاتور بونو، تجار طرابلس عبر الصحراء العقد الاول من القرن العشرين، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس كانون الثاني، 1981م العدد (1) ص75.

(1) حميدة، المصدر السابق، ص131.

(2) والاس، المصدر السابق، ص89.

** هو السلطان عبد الكريم ولقبه صابون، وهو حفيد السلطان محمد صليح وقد حارب عبد الكريم صابون ابوه السلطان محمد درت وانتزع منه عرش السلطنة عام 1085م ونجح في بسط سلطانه على اقليم باجرمي الغني فزادت ثروة البلاد وتوفي عام 1815 عندما كان يستعد لقتال حاكم برنو. محمد بن عمر التونسي، تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، الدار المصرية للتاليف والنشر (القاهرة: 1965)، ص149.

الطريق في القرن التاسع عشر وازدهرت نتيجة للجهود التي بذلها سلطان ** واداي*** من خلال فتح التجارة مع جهة الشمال مع تجارة قبائل المجابرة ومع تجار واحة جالو الذين كانوا من القبائل التجارية التي تعاونت مع السنوسية والذين أصبحوا فيما بعد من دعاتها[1].

كان للحركة السنوسية بعض الوكلاء التجاريين الذين يعملون لصالحها من خلال تجارتهم في الأسواق، ومن بين هؤلاء عبد الله الكحال المولود في دمشق عام 1840م حيث عمل وكيلاً للسنوسية وشراء حاجياتهم المختلفة من القماش ومواد البناء وعمل مع تجار المجابرة الذين كان لهم اثر على الحركة السنوسية حيث اشتهروا بالسفر والترحال وكان الكحال يجلب واردات التجارة التي كانت تتمثل بالصمغ والجلود عن طريق التجار المتجولين ويرسلها إلى مقر الحركة السنوسية[2] واصبح الكحال في دائرة المنافسة مع التجار الأوربيين الذين يجوبون دول افريقيا بحثاً عن اسواق جديدة عن طريق المستعمرات التي كانوا يسيطرون عليها لجعلها أسواقاً لتصريف منتجاتهم ومصادر للمواد الخام التي تحتاجها الصناعة بعد التطور الذي طرأ على اوربا عقب الثورة الصناعية في نهاية القرن الثامن عشر[3] فضلاً عن ذلك هناك بعض القبائل التجارية الاخرى التي عملت مع السنوسية واستمر تعاونها لفترة طويلة أمثال سلاطين واداي الذين ربطوا الصحراء من شمال شرق تشاد وشرق برقة ومصر، لذلك ليس من الغرابة أن

*** واداي: تقع في غرب سلطنة دافور وتحدها من الغرب والجنوب الغربي الكانم والباقرمة ومن الجنوب الشرقي دار نقه وقد تأسست عام 1611م على يد اسرة من قبيلة الجوامعه تعرف بالحجر زعيمهم (وودا) وقد استطاع حفيده عبد الكريم ان يؤسس دولة والتي اشتهرت باسم واداي نسبة إلى جده وودا بعد قضائه على حكم التنجور عام 1611 حيث كانت واداي خاضعة لحكمهم وقامت على انقاض دولة التنجور في القرن السابع عشر للميلاد. ينظر: دريد عبد القادر نوري، تاريخ الاسلام في جنوب الصحراء من القرن 4–10هـ/16م، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل (الموصل: 2007)، ص302، التونسي، المصدر السابق، 74–137.

(1) بونو، المصدر السابق، ص75؛ والاس، المصدر السابق، ص89.

(2) والاس، المصدر السابق، ص91–109.

(3) عبد الغني عبد الله خلف الله، مستقبل افريقيا السياسي تاريخ شعوب القارة الحديثة واوجه التطور فيها، مطبعة مصر (القاهرة: 1957) ص6–7.

تزدهر تجارة القوافل في نهاية القرن التاسع عشر ومن ثم فان الحركة السنوسية تمكنت من أن تلتقي مع القبائل التجارية جميعها مع اهتمامها في الوقت نفسه بنشر الإسلام[1].

نتيجة لفهم قادة السنوسية وتجارها طبيعة المجتمعات التي كانوا يصلون اليها ما بين برقة وبقية دول افريقيا فقد نجم عن ذلك الفهم تطور وازدهار تجارة القوافل[2] بدليل انتشار الزوايا في مناطق مختلفة والتي أصبحت مراكز اقتصادية إلى جانب قيامها بنشر الإسلام كما أنها أصبحت في أخر الأمر خطاً دينياً تحدده خضرة البساتين، وتسوره نضارة الاشجار حتى وسط المناطق الصحراوية[3].

وفي نهاية القرن التاسع عشر رفض السنوسيون دفع الضرائب للدولة العثمانية والتي كان معمولاً بها أنذاك الا انه استمروا في ارسال الزكاة التي كانوا يرسلونها إلى مركز الجغبوب وهي عبارة عن خمسة الآف جمل محملة بالحبوب والتمور، وذلك عام 1880م ومن ثم عظم شأن السنوسية وازدات قوتها وقدر لها أن تكون دولة يعلن عنها فيما بعد في عام 1913م[4].

نشطت السنوسية في تعاليمها وممارستها العلمية على تطوير النشاط الاقتصادي في معظم القبائل ذات البيئة الفقيرة إذ حرص السنوسيون ومنذ تأسيس قاعدتهم في واحة الجغبوب عام 1856م على الاعتماد على أنفسهم في ممارسة الأنشطة الاقتصادية من خلال احيائها بالعمران والزراعة وأصبحت مهد أمان ومركز عبادة وأصبحت تأتيها التجارة من الجهات كافة، وقد تجلى ذلك من خلال محاولتهم لبناء أولى الزوايا السنوسية في عام 1842م[5].

---

(1) حميدة، المصدر السابق، ص131.

(2) المصدر نفسه، ص135.

(3) عبدة بدوي، مع حركات الاسلام في افريقيا، الهيئة العامة للتأليف والنشر (القاهرة، 1970) ص108-111.

(4) شكري، المصدر السابق، ص50-51؛ حميدة، المصدر السابق، ص136.

(5) شكري، المصدر السابق، ص36.

اولاً: مؤسسة الزاوية

أ. اهمية الزاوية:

لعبت الزوايا السنوسية دوراً كبيراً في طرابلس الغرب ففضلاً عن كونها خير عون على تحقيق أهداف الحركة فانها كانت أفضل عامل لتحسين حالة البلاد واستتباب الأمن في المناطق المجاورة للزاويا وتأمين طرق القوافل مما ادى إلى تنشيط حركة تجارة القوافل وأصبحت ملجأ يأوي إليه الناس لعرض خصوماتهم ومشاكلهم حيث يقوم شيخ الزاوية بحل القضايا والفصل بين الاطراف وفقاً للشريعة الإسلامية[1].

ولم يكن بناء الزوايا عشوائياً وانما كان بتخطيط دقيق من قبل محمد بن علي السنوسي حيث اختار مواقع استراتيجية فأما ان تكون بين القبائل أو في طرق التجارة، وفي مكان قريب من مصدر مائي وبعيداً عن اعين السلطة حيث اصبحت التجارة مورداً مهماً للسنوسية [2] (وبعد ان عظم شأنها في جهات عديدة من أفريقيا بدأ السنوسيون يقيمون زواياهم في مناطق مختلفة منها) وتجلت تلك الجهود بين البدو والقبائل القاطنة في جنوب الكفرة وجعلت من السنوسيين قوة روحية في تلك المناطق وعاملاً قوياً لنشر الإسلام والاخاء والسلام ومن ثم أصبحوا كهيئة تجارية كبرى وبفضلهم نمت التجارة وازدهرت، ولاسيما في الأيام الأخيرة من حياة محمد المهدي السنوسي* الذي كان عازماً على توسيع نفوذ الحركة السنوسية نحو الجنوب حتى وصل إلى الحدود الواقعة الصحراء من مناطق افريقيا ثم وافته المنية في عام 1902[3].

---

(1) حسن سليمان محمود، ليبيا بين الماضي والحاضر، مؤسسة سجل العرب (القاهرة: 1962) ص224–226؛ عامر المصدر السابق، ص8.

(2) حميدة، المصدر السابق، ص129.

* ولد في الجبل الاخضر ببرقة في اوائل تشرين الثاني 1844 وهو الابن الاكبر لابيه وتلقى تربيته الاولى في الجبل الاخضر حتى سن السابعة ثم انتقل والده إلى المدينة المنورة واصبح تحت اشرافه ورعايته حتى بعد انتقال والده إلى واحة الجغبوب، حيث درس على يد

ب. اركان الزاوية:

والزاوية عبارة عن بناء يتكون من عدة غرف يتوقف حجمها على أهمية المكان الذي تقام فيه، وهي في الأصل بيت من بيوت الله أو مسجد من مساجده ولهذه الزاوية سوران كبيران وفيها مدرسة وطلاب كثيرون، وافراد يصل عددهم إلى (2000) عامل، كان عملهم هو بناء الدكاكين وحرث الأرض وغرس الأشجار وفيهم أصحاب حرف فمنهم التجار والحدادون ومنهم من يصلح البنادق وغيرهم، ومن المعروف أن الزاوية كانت معروفة في المغرب العربي وفي العالم الإسلامي، منذ قرون بعيدة، وبمثابة الجامعة التي ينهل منها الشباب ويتلقوا فيها أنواع العلوم، أما الزاوية السنوسية فكانت من نوع خاص فهي مركز للحياة الروحية والاقتصادية كما ذكرنا سابقاً، ويتم انشاؤها على أرض مختارة ولا يتم البناء عليها الإ بموافقة القبيلة صاحبة الشأن وعادة ما تكون على ربوة عالية تشرف على ما حولها وملتقى طرق وتفضل أن تكون ذات مناخ صحي[1].

شيوخ وعلماء السنوسية في زاوية ابي قبيس بمكة المكرمة، وبعد وفاة ابيه تولى زعامة الحركة السنوسية ولم يتجازو السادسة عشر من عمره في الجغبوب 1859–1895 ثم في الكفره 1895–1899 ومن قروالتي تقع شمال تشاد 1899–1902 وقد تلقى الاحترام من لدن اتباعه وكذلك الامراء والسلاطين بمن فيهم السلطان عبد الحميد الثاني 1876–1909 الذي ارسل مبعوثاً خاصاً له محملاً بالهدايا والتأييد، شكري، المصدر السابق، ص 56؛ الدجاني، اللمصدر السابق، ص169–173.

(3) احمد محمد حسنين، في صحراء ليبيا (د. م: د. ت) ص58.

(1) انور الجندي، العالم الاسلامي والاستعمار، مطبعة الرسالة (القاهرة: 1958)، ص139–140؛ نجاح القابسي، المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الاسلامي، مجلة الثقافة العربية، العدد (7) (ليبيا: 1980) ص 31؛ النشمي، المصدر السابق، ص 2؛ علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798–1894 الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية، الاهلية للنشر والتوزيع (بيروت: 1983) ص58؛ وللمزيد ينظر: استانلي لين بول، تاريخ الدول الاسلامية، ترجمة: فرزات محمد صبحي، مطبعة الملاح (دمشق: 1974).

وقام محمد بن علي السنوسي ببناء أول زاوية بعد وصوله إلى طرابلس ومن ثم انتقل إلى مدينة البيضاء في الجبل الاخضر والتي عرفت بالزاوية البيضاء عام 1842م، والتي عدت أما للزوايا السنوسية وقبل هذا التاريخ فقد سبق وأن أسست أول زاوية في مكة المكرمة في جبل أبي قبيس عام 1837م باعتباره المكان الذي بدأت منه الحركة[1].

ج. موقع الزاوية:

كانت الزوايا تنشأ في الاغلب على الأراضي الخصبة وبالقرب من الآبار والعيون وكان كل شخص من أفراد القبيلة يتبرع بحراثة يوم وزراعة يوم وحصاد بيوم ليسهل على الجميع بناء واعمار الزاوية دون أن تصرف مبالغ [2] وكان من المألوف ان يرسل السنوسي عدداً من العمال في مختلف المجالات كالبناء والعمارة والتجارة والمهارات كلها التي يحتاجونها لبناء الزاوية التي يستغرق بناؤها أكثر من عام[3].

اتبع السيد محمد بن علي السنوسي نظاماً دقيقاً في انشاء الزوايا وترتيبها حتى عدت كل واحدة منها بمثابة حكومة ذات سلطان عظيم على الأهالي المقيمين على جبهتها[4] وكان لموقع الزاوية أهمية تجارية واقتصادية بصفة عامة فقد اقيمت معظم الزوايا في طرق تجارة القوافل، وكان هناك ثلاثة طرق رئيسة في طرابلس الغرب، الأول منها للقوافل يتجه جنوباً من الساحل الليبي عبر واحة فزان إلى بحيرة تشاد، والطريق الثاني ينعطف جنوباً غرباً عبر غدامس وغات إلى تمبكتو، والطريق الثالث يسير جنوباً شرقاً عبر واحة الكفرة سواكن وزيلا إلى

(1) يحيى محمد ابراهيم، مدرسة احمد بن ادريس واثرها في السودان، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الخرطوم (الخرطوم: 1990) ص 273؛ الدجاني، المصدر السابق، ص61؛ شكري، المصدر السابق، ص29–31.

(2) ستوارد، المصدر السابق، ص298.

(3) الصلابي، المصدر اليابق، ص83.

(4) شكري، المصدر السابق، ص49–50.

واداي ودارفور الغني بخصوبته وثروته، فيلاحظ من ذلك أن تلك الزوايا ترتبط بطرق تجارة القوافل مما جعل السنوسي يستخدم زواياه والقبائل التي توجد الزوايا في أراضيها لاستغلال التجارة وتنشيطها مما كان له اثر اقتصادي كبير في تحريك عجلة طرابلس الغرب الاقتصادية، بسبب دور تلك الزوايا في تشجيع تجارة القوافل التي كانت تعتبر حتى بداية القرن العشرين مورداً مهماً في حياة الولاية الاقتصادية، زاد على ذلك اهتمامه بالزراعة حيث دعا السنوسي أهل القبائل الواقعة في أراضي الزوايا إلى الاهتمام بالزراعة[1] والدليل على ذلك أنه من يدرس توزيع الزوايا السنوسية في برقة يلاحظ أنها أقيمت وفق خطة سياسية اقتصادية[2].

وقد وصفت الزوايا من قبل بعض الشيوخ والعلماء، فقد وصفها العلامة محمد عبد الله السني في قصيدة عصماء امتدح بها محمد المهدي السنوسي:

طابت وطاب بها المأوى لذي شجن دار السلامة وللاسلام مهتجر

تأوي الوفود لها من كل ناحية مأوى الحجيج إذا ما جاء يعتمرُ[3]

ثانياً: الحياة الاقتصادية في الزاوية السنوسية:

ادت الزوايا دوراً في تحسين حالة الولاية من خلال تنشيط حركة تجارة القوافل وذلك بتأمين طرقها الانفة الذكر [4]، قبل ان توصف بأنها واحة يأوي أليها

(1) الصلابي، المصدر السابق، ص84.

(2) برتيشادر، عشر سنوات في بلاط الاندلس، ص 78، نقلاً عن: الصلابي، المصدر نفسه، ص84.

(3) الصلابي، المصدر السابق، ص91.

(4) محمود، المصدر السابق، ص226.

* كان السنوسي يدرك قرب استيلاء الاجانب على البلاد ففضل الانتقال إلى الجغبوب والتي تقع على مسافة مسيرة ثلاثة ايام من سيوة والتي يربطها بداخل افريقيا الغربية حتى بحيرة تشاد طريقان: احدهما شرقي من سوكنه إلى مرزوق، والاخر غربي من غدامس والعابر وكانت الجغبوب في تلك الاونة واحة مالحة جرداء وهذا يعني صعوبة العيش بها

اللصوص* وقطاع الطرق بحيث لا تجرأ القوافل ان تمر بها جراء العبث في أنحائها[1] كما كان للزاويا دور في فض النزاعات بين السكان وتوسيع مساحة الأراضي المزروعة فضلاً عن أنها استطاعت ان تخفف العبء عن المساكين والفقراء من خلال ايوائهم وتوفير السكن والغذاء لهم [2] وكان المسؤول الاقتصادي بعد شيخ الزاوية هو وكيل الدخل والخرج واليه يرجع النظر في زراعة الأراضي وجميع الامور الاقتصادية[3].

كان تأثير الزاوية السنوسية كبيراً من الجانب الاقتصادي فأخذت تنتشر في مناطق مختلفة وتأثر سكان القبائل القاطنين بالقرب من تلك الزوايا بالأوضاع الاقتصادية وأصبح عدد الزوايا في مطلع القرن العشرين 146 زاوية موزعة في العديد من المناطق المختلفة [4] وهي تمتلك مساحات واسعة من الأراضي الوقفية المعفاة من الضرائب والرسوم الحكومية والتي بلغت ما يقارب 50000 هكتار من بين 200000 هكتار من الأراضي التابعة لها في مناطق الحجاز ومصر ووسط أفريقيا[5] وأن تلك الأراضي لايمكن بيعها، وهي تأتي من الهبات المقدمة من القبائل والافراد او عن طريق الشراء او استصلاح اراضي الموات او المتنازل

والوصول اليها فقرر السنوي الانتقال اليها لتصبح مقراُ له وبنى زاويته الكبرى هناك ليبتعد عن انظار السلطات آنذاك ولكي يتمكن من نشر مبادىء السنوسية ونشر الاسلام في افريقيا، فغرس بها الاشجار واستنبط العيون وتوسع في البناء فاصبحت تلك البقعة المالحة مهد آمان ومركز عبادة ومعلم هداية. شكري، المصدر السابق، 36.

(1) شكري، المصدر السابق، ص136.

(2) محمود، المصدر السابق، ص226.

(3) الصلابي، المصدر السابق، ص86.

(4) محمد عزه دروزة، نشأة الحركات العربية الحديثة، المكتبة العصرية (بيروت: د. ت) ص76؛ زيادة، محاضرات في تاريخ ليبيا، المصدر السابق، ص 69؛ شكري، المصدر السابق، ص35؛ ولمعرفة اسماء الزوايا التي انشأها السيد السنوسي، ينظر: الملحق رقم (1).

(5) ايفانز، المصدر السابق، ص77.

عنها من القبائل المتنازعة لصالح الزاوية [1] وكانت موارد الزاوية المالية من الزراعة وتربية المواشي والهبات الخيرية والزكاة الشرعية حيث كانت الهبات الخيرية تقدم من أهالي القبيلة وكانت الزاوية تجبي الزكاة من القبيلة رسمياً بعد أن أعفت السلطات العثمانية الزوايا من الضرائب عام 1855م واعطت لها حق جباية الزكاة وكانت الزاوية تنفق بعض هذه الموارد على احتياجاتها وفق نظام معروف بها وما يتبقى فيرسل إلى المركز الرئيس حيث يتصرف فيه شيخ الزاوية[2]، وفضلاً عن وظيفتها الدينية اصبحت الزاوية تمتهن الزراعة وتربية الحيوانات من خلال قيام الافراد المقيمين فيها، من شيوخ وطلبة وخدم بالعمل وانتاج المحاصيل الزراعية والتي كانت تخزن قسماً منها لتلبية متطلبات الزاوية لعام كامل فيما يتم ارسال الفائض منها إلى الاسواق في المدن الساحلية لبيعها، وشراء ما يلزم من المواد التموينية الاخرى، وقد بلغ انتاج بعض الزوايا كزاوية مسوس والتي كانت القاعدة الاولى للزوايا السنوسية[3] سنوياً من الحبوب ما يقارب 2000 – 4000 قنطار ومن الحيوانات 5000 رأس من الاغنام و500 رأس من الابل و100 رأس من الابقار[4].

كانت القبائل المجاورة للزاوية تشعر بالفخر إذا ما قدمت المساعدة والخدمة في اراضي الزاوية فضلاً عن ما كانت تخرجه من انتاجها الزراعي كهدية إلى الزاوية إلى جانب الأموال والصدقات التي هي (الزكاة) لصرفها على المتعففين من قبل شيوخ الزاوية [5] والدليل على ذلك ما ذكره الرحالة الالماني "جيرهارد رولفGrehard Rohlf" خلال زيارته عام 1878م لواحة الكفرة، حيث اشار إلى

(1) ايفانز، المصدر السابق، ص 77–78؛ للتفاصيل ينظر: محمد الطيب الاشهب، برقة العربية امس واليوم، مطبعة الهواري (القاهرة: 1971).
(2) الصلابي، المصدر السابق، ص88؛ حميدة، المصدر السابق، ص127.
(3) شكري، المصدر السابق، ص32.
(4) الصلابي، المصدر السابق، ص55–56، نقلاً عن الاشهب.
(5) عامر، المصدر السابق، ص9.

أن ربع أشجار النخيل الموجودة في الواحة هي في الاصل هدايا قدمت للسنوسية[1].

كان لانشاء الزوايا في مفترق طرق القوافل التجارية أهمية كبيرة بالنسبة للتجار والتجارة من خلال ما كانت تقوم به من دور مهم في حفظ الأمن والنظام ومنع السرقة والاعتداء على القوافل فضلاً عن حفر الابار واصلاحها مما كان يساعد على سهولة المسالك والطرق إلى جانب خدماتها الجليلة الأخرى كتقديمها المساعدات للقوافل والتجار لحفظ البضائع والمواد في مستودعات انشئت خصيصاً في الزوايا والسماح للتجار بالاقامة في أراضيها مما أدى إلى ازدهار التجارة عن طريق بنغازي – الكفرة – واداي – أزدهاراً كبيراً إلى حد وصل فيه أن انتقل التجار من طرابلس الغرب ومصراته وبنغازي إلى العمل ضمن هذا الطريق ولاسيما بعد تدهور طرق التجارة في الولاية في أواخر القرن التاسع عشر، حيث توجهت العديد من القبائل إلى المساهمة في هذا النشاط بحيث أن قبيلة المجابرة[2] المقيمة في جالو كانت تسيطر على التجارة المتجهة شمالاً وجنوباً وكذلك نحو مصر[3].

كانت هناك العديد من الأعمال الأخرى التي تقوم بها الزاوية ويمكن ايجازها بما يأتي:

1. التنفيذ العلمي لأحكام ومبادئ الحكم الشرعي بين المواطنين، والتربية الدينية.
2. الدعوة إلى الالتزام بالفضائل وتجنب الرذائل والقدوة الحسنة التي وجدها الناس في شيوخ الزوايا.
3. الاهتمام بدعوة الشعوب الوثنية إلى اعتناق الإسلام وهذه وظيفة الزوايا المتغلغلة في الصحراء الكبرى والتي وصلت إلى قلب افريقيا الغربية والسودان وقد اهتدت هذه القبائل إلى الإسلام، فقد عملت السنوسية على تحويل دول

(1) انتوني جوزيف كاكيا، ليبيا في العصر العثماني (1835–1911م) ترجمة: يوسف حسن العلي، دار احياء الكتب العربية (طرابلس: 1946) ص197.

(2) والاس، المصدر السابق، ص89.

(3) محمد ناجي ومحمد نوري، طرابلس، ترجمة: كمال الدين محمد حسان، مكتبة الفكر (ليبيا: 1973) ص64–65.

وسلطنات إلى الإسلام مثل سلطنة رابح واحمد ساموري بعدما كانت تلك الدويلات قبائل وثنية تدين بـ الفيتشية* Fetishism هذه الديانة التي كانت سائدة لدى هذه الشعوب[1].

4. تنقية العقيدة الإسلامية واصولها المحكمة مما علق بها من انحرافات وبدع.
5. كان لها دور تعليمي فقد كانت اشبه بالمراكز الإسلامية المنتشرة في العالم وكانت الزاوية تمثل مدرسة قرآنية لتحفيظ القران الكريم ومبادئ الدين الإسلامي واللغة العربية.
6. كانت الزوايا تدرب طلابها على اتقان الحرف والصناعات مثل صناعة البارود والأسلحة[2].
7. لقد اتبع السنوسي سياسة البدء بالتعليم الديني للاطفال، حيث كان يهتم بتعليم الاطفال منذ حداثتهم في الزوايا ومن ثم يصبحوا دعاة لنشر تعاليم الإسلام، فكانت الزوايا تعد الطلبة بعد تعليمهم الفروسية واستخدام السلاح وترسلهم إلى انحاء افريقيا كدعاة للاسلام ومن ثم اصبح لها العديد من المدارس التابعة لها في ارجاء السودان والحبشة وسننجامبيا (السنغال حالياً) والصومال وكذلك بلاد المغرب والعراق وفي ارخبيل الملايو حيث استطاعت السنوسية ان تتجاوز مرحلة الاصلاح إلى مرحلة نشر تعاليم الإسلام لانه اصبحت عدة قبائل من افريقيا كانت من قبل وثنية، مسلمة اسلاماً عميقاً ومن اتباع الإسلام المتحمسين منذ ان حل فيهم دعاة السنوسية[3].

---

* الفيتشية: معتقد يؤكد على التركيز في الشهوة الجنسية على جزء من جسد المرأة كالقدم مثلاً او على اشياء اخرى متعلقة بها كالحذاء او الجورب او خصلة شعر او ثوب تحتي (لباس المرأة الداخلي) والفتش (البُدّ) شيء كانت الشعوب البدائية تعتبر ان له قدره سحرية على حماية صاحبه او مساعدته، ويذكر ان الفتش هو صنم معبود وتحمل الكلمة معنى ولع او تعلق شيء بشيء. مشير البعلبكي، قاموس المورد، دار العلم للملايين (بيروت: 1980) ص344.

(1) الصلابي، المصدر السابق، ص85.

(2) الصلابي، المصدر السابق، ص85-86.

(3) حسن ابراهيم حسن، انتشار الاسلام في القارة الافريقية، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة: 1984) ص48-49.

8. قامت الزوايا بدور اجتماعي مهم ألا وهو ما ضمنته القبائل من امن وطمأنينة ومصالحة بين القبائل وتشجيعها على الاستقرار إذ بحكم الاستقرار لهذه الزوايا اضطرت كل قبيلة أن تحافظ على صلتها الدائمة بزاويتها الخاصة وقد اقتضى منها هذا الموقف عدم البعد عنها حتى يسهل لها الاتصال بها كما دعت الضرورة إلى ذلك.
9. شجعت الزوايا الحركة التجارية والزراعية وعمرت الطرق بالقوافل المحملة بالمواد والسلع وكانت تقوم بتقديم مساعدات وتسهيلات لراحة المسافرين التجار، مما شجع على التبادل التجاري بين منتجات الزاوية وبين ما تحمله القوافل من سلع لا تتوفر في اراضي الزاوية.
10. قامت الزوايا بدورها الجهادي في مواجهة الغزو الفرنسي المتقدم وسط افريقيا وفي الكفاح ضد الغزو الايطالي في ليبيا حيث تمكنت الزوايا من الصمود ضد الغزو الايطالي لاكثر من عشرين عام[1].

وكان للحركة السنوسية مواقف عديدة تجاه التغلغل الاقتصادي الاجنبي، فان التوجه السائد لها كان يدعو إلى مقاومة التدخل الاجنبي في البلاد الإسلامية ولاسيما المناطق التابعة للولاية، إذ لعبت الزوايا السنوسية دوراً مميزاً في منع بيع الأراضي للأجانب ولا سيما الايطاليين [2] والدليل على ذلك عندما حاول الايطاليون بواسطة أحد الأعيان شراء أراضٍ في قضاء سرت التابع لسنجق

(1) الصلابي، المصدر السابق، ص86.
(2) الدجاني، ليبيا قبل الاحتلال الايطالي او طرابلس الغرب في اواخر العهد العثماني الثاني (القاهرة: 1971) ص84–85.

* يقع هذا اللواء بين طرابلس غرباً وفزان جنوباً ومتصرفية بنغازي شرقاً ومركزه خمس، يبعد عن مركز الولاية (120) كم، سالنامة دولة علية عثمانية (1305هـ) (1887–1888م). للتفاصيل ينظر: شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة ووثائق تحريرها، مطبعة الاعتماد (القاهرة: 1957)، ص83–85؛ افراح ثائر جاسم حمدون، السياسة العثمانية في ليبيا 1835–1913، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل (الموصل، 2001)، ص39–41؛ محمد ناجي وحمد نوري، المصدر السابق، ص86؛ سالنامة دولة عليه عثمانية (1317هـ) (1899)، ص446؛ سالنامة دوله عليه عثمانية (1326هـ) (1908م)، ص764.

الخُمس*، تبعه شيخ الزاوية السنوسية في طرابلس الغرب وقام بإبلاغ الوالي أحمد راسم باشا (1882-1896م) وكذلك زعيم الحركة السنوسية آنذاك السيد محمد المهدي السنوسي لغرض نهي القبائل البدوية عن بيع الأراضي للأجانب [1] وكان السنوسيون ينظرون بكثير من الريبة والشك إلى ما كان يقوم به الرحالة الاجانب في رحلاتهم نحو المناطق الداخلية ويعملون على مراقبة تحركاتهم بدقة ولا يخفى هنا الدور الاساسي لهم في مقاومة الغزو الفرنسي للمناطق الوسطى الافريقية في اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وبعدها الغزو الايطالي لطرابلس الغرب عام 1911[2].

بذلت ايطاليا جهوداً حثيثة لتجعل لها موطىء قدم في طرابلس الغرب عاقدة بذلك العديد من الاتفاقيات مع الدول الاوربية الاستعمارية في تلك الفترة وخاصة بعد احتلال فرنسا للجزائر عام 1830م وتونس عام 1881م[3].

وكان بعد تلك الجهود التي بذلتها ايطاليا بمد مصالحها نحو طرابلس الغرب أن تضمن المساندة من قبل تلك الدول الاوربية عند الحاجة الماسة[4].

الخاتمــة

يتبين مما سبق ان الزاوية السنوسية أثرت تأثيراً كبيراً في مكونات المجتمع ولاسيما بعد أن ازدهرت التجارة في المناطق التي كانت تؤسس بها الزوايا بعدما كانت اراضٍ بور خالية جرداء حيث اصبحت تعج بالحياة الاقتصادية وفق نظام

---

(1) الدجاني، ليبيا قبل الاحتلال الايطالي، ص142-148.

(2) شكري، المصدر السابق، ص94-95.

(3) محمد العرفاوي، مخاض الامبريالية والفاشية الايطالتيين وعسر ولادتها في ليبيا 1882-1912م مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (بيروت: 1990) ص 259-275؛ الدجاني، ليبيا قبل الاحتلال، ص315-337؛ وللتفاصيل ينظر: الهادي ابو لقمة (مترجم) مشروع الاستيطان اليهودي في برقة، مكتبة قورينا للنشر والتوزيع (ليبيا: د. ت) ص 20-21.

(4) العرفاوي، المصدر السابق، ص259-260.

اقتصادي دقيق في نواحي الحياة اليومية جميعها في الزاوية السنوسية التي كرست هذه الأعمال وأسست فيما بعد ما يشبه المؤسسة الكاملة بمقوماتها جميعاً بحيث اعترفت بها الدولة العثمانية ككيان مستقل حيث استطاعت الزوايا أن تلعب دوراً في نشر الدين والثقافة العربية الإسلامية بين الناس وترسيخ النشاط التجاري ولاسيما تجارة القوافل التي كانت معروفة انذاك.

كذلك من خلال بنائها في مفترق الطرق التجارية تمكنت من بسط الأمن في أنحاء المنطقة التي تتواجد فيها الزوايا السنوسية بتأمين الطرق التجارية بحيث اصبحت مأوى يلجأ إليه التجار العاملين جميعهم ومن ثم أصبح لها دور كبير في نشر الإسلام في مناطق نائية من القارة الافريقية التي بفضلها تأسست امارات وسلطنات اسلامية.

ملحق رقم (1)

قائمة أسماء الزوايا السنوسية من عام 1837م إلى بداية القرن العشرين:

1. زاوية ابي قبيس بمكة المكرمة وهي أول الزوايا السنوسية على الاطلاق تم تأسيسها عام (1242هـ/ 1837م) وكان اول شيخ لها العلامة عبد الله التواتي، ومن بين من تولى مشيختها السادة: مصطفى الغماري وحامد غانم المكاوي، وعلي حامد، والشارف حامد، والصادق السنوسي حامد.
2. زاوية البيضاء والتي أنشئت في برقة (1257هـ/ 1841م) وهي أول مركز رئيس بالنسبة للزوايا في طرابلس الغرب واول من تولى مشيختها العلامة محمد بن حمد الفيلالي فضلاً عن كل من عمران بن بركة الفيتوري وحسين الفرياني والعديد من الشيوخ الذين تولوا زعامة أو منصب شيخ الزاوية.
3. زاوية المدينة المنورة تم انشاؤها عام (1266هـ/ 1849م) وكان أول شيخ لها هو العلامة محمد الشفيع، ومن بين من تولى مشيختها العلامة، مصطفى الغماري ومحمد عبد الله الزاوي وعبد السلام فركاش.

4. زاوية جدة.
5. زاوية الطائف.
6. زاوية منى.
7. زاوية بدر.
8. زاوية مارة وهي في برقة وتولى أمرها الشيخ عمر الأشهب ومن ثم احمد علي ابو يوسف واحمد بن ادريس الاشهب وعبد الله ابو يوسف.
9. زاوية درنة وأنشئت في برقة ايضاً وكان أول شيوخها عمر الأشهب وكذلك الشيخ مفتاح خوجة والسنوسي الغرياني وعبد الرحمن العجال[1].
10. زاوية الجوف وأنشئت في واحة الكفرة وتولى أمرها كل من الحاج مصطفى ابو شايدة والحاج محمد حليقة.
11. زاوية قفطة وأنشئت في برقة وكان أول شيوخها هو المختار ابو عمور.
12. زاوية شحات في برقة وانشأت عام (1261هـ/ 1845م) وكان أول شيوخها العلامة مصطفى الدردفي، وتعاقب على مشيختها محمد الدرفي ورافع بن مركاش ومحمد مصطفى الدرفي.
13. زاوية العرقوب في برقة وكان أول شيوخها محمد الجبالي.
14. زاوية مسوس وأنشئت في برقة وكان أول من تولاها وكالة الشيخ فهد العاقوري وكان أول شيوخها احمد علي ابو سيف.
15. زاوية الطيلمون وأنشئت في برقة وأول شيوخها مصطفى المحجوب ومن بعده علي المحجوب ومن ثم السيد أحمد علي المحجوب.
16. زاوية القصور في برقة وكان أول شيخ لها العلامة الشيخ محمد المبخوت التواتي وبعده محمد مقرب حدوث ومن ثم تولى زعامتها عمر المختار.
17. زاوية المرج وأنشئت في برقة وكان أول شيوخها احمد بن سعد ومن ثم علي العادي وتولى من بعده عدد من مشايخها.

(1) الصلابي، المصدر السابق، ص90.

18. زاوية بنغاري وأنشئت في برقة وكان اول من تولى مشيختها عبد الله التواتي ومن ثم عبد الرحيم بن احمد المحجوب.
19. زواية مزرق في فران وأول من تولى مشيختها أحمد أبو القاسم التواتي.
20. زاوية واو في فزان وأول شيوخها أحمد أبو القاسم التواتي.
21. زاوية زويلة في فزان أيضاً وكانت تحت اشراف الشيخ أحمد ابو القاسم التواتي.
22. زاوية هون في واحة الكفرة وأول من تولى مشيختها احمد بن علي بن عبيد.
23. زاوية في مزدة في طرابلس وأول شيوخها عبد الله السني.
24. زاوية طبقة في طرابلس وأول شيوخها محمد الازهري.
25. زاوية العزات في برقة وأنشئت عام (1270هـ/ 1825م) واول من تولى مشيختها هو عمر جالو.
26. زاوية المخيلي وكان أول شيخ لها هو الحسن الحادفي وتعاقب ورثته على مشيختها.
27. زاوية تازربو وأنشئت في واحة الكفرة ومن بين من تولى مشيختها محمد المدني[1].
28. زاوية ربيانة في واحة الكفرة وأول شيوخها هو حسين بازامة.
29. زاوية دريانة أنشئت في برقة وأول شيوخها ابراهيم الغماري ومن ثم ابنه حسن ابراهيم الغماري ومن ثم محمد حسن الغماري.
30. زاوية سيوه وأنشئت في مصر وأول شيوخها احمد ابي القاسم التواتي.
31. زاوية الزيتون في سيوة وكانت تابعة لمشيخة احمد ابو القاسم التواتي.
32. زاوية سوكنة وأنشئت في واحة الخضرة.
33. زاوية الرجبان في طرابلس وأول شيوخها ابي القاسم العيساوي.
34. زاوية الواحات البحرية وأنشئت في مصر وأول شيوخها محمد السكوري.
35. زاوية الداخلة وأنشئت في مصر وأول شيوخها حسين الموهوب الدرسي.

(1) الصلابي، المصدر السابق، ص90–92.

36. زاوية حوش عيسى أنشئت في مصر.
37. زاوية الفيوم أنشئت في مصر.
38. زاوية تونين غدامس وأنشئت في طرابلس وأول شيوخها الشريف الغدامسي.
39. زاوية طلميثة وأنشئت في برقة ومن بين من تولى مشيختها محمد الكليلي.
40. زاوية توكرة في برقة ومن شيوخها عبد الله الجيلاني وعبد الله عمر الفضيل ويونس الموهوب.
41. زاوية ام ركبة وأنشئت في برقة وكان من تولى مشيختها علي بن عبد الله.
42. زاوية الفايدية وأنشئت في برقة وكان اول شيوخها اسماعيل الغزاني.
43. زاوية ترت في برقة وأول شيوخها عبد القادر الغزالي وتوارث مشيختها ابنائه.
44. زاوية أم الرخم في مصر.
45. زاوية النجيلة في مصر.
46. زاوية الحقنة في مصر.
47. زاوية دفنة في برقة وأول شيوخها حسين الغرياني وتولى مشخيتها ورثته من بعده.
48. زاوية أم الزرم وأنشئت في برقة واول شيوخها المرتضى فركاش ومن ثم ابنه المرتضى الثاني وثم الامين فركاش ومن ثم محمد الامين فركاش[1].
49. زاوية مصراته وأنشئت في طرابلس وكان اول شيخ لها خليفة شنييشح.
50. زاوية زلتين او زليلطن وأنشئت في طرابلس.
51. زاوية زلة أنشئت في طرابلس.
52. زاوية الجريد في تونس وكان أول شيوخها محمد بن الصادق.

هذه بعض الزوايا السنوسية التي أنشئت في عهد محمد بن علي السنوسي وولده محمد المهدي السنوسي والتي تدل على انتشار السنوسية وتوسعها واقبال الناس عليها وقوة نظامها وحسن ادارتها[1].

(1) الصلابي، المصدر السابق، ص92–93.

(1) الصلابي، المصدر نفسه، ص 93؛ لتفاصيل ينظر، محمد عمارة، العرب والتحدي، دار الطليعة سلسلة عالم المعرفة (الكويت: 1980) ص162–165.

Sunoosi Zawya (Teaching Mosque): Its Establishment and Economic Role (1841-1911)

Muhammed Ali Afeen *

Abstract

The present study sheds light on one of the reforming movements in Arab Homeland. Some reformative movements which made reforms of the conditions of Moslems and the education of Moslem generations on sound bases their optimal goal appeared recently. This objective became their main slogan especially after the Islamic World underwent fierce attacks by the western military and cultural challenges at the end of the 18th century A.D. Those attacks took different shapes the most important of which was the crusades which began to spread Christianity in the Islamic World due to the worsening Ottoman administration which negatively affected the conditions of the Islamic society. Those events led to the emergence of some reformers who championed the reformation movements in the different parts of the Islamic World including Africa. Among those was the Sunoosi movement which managed to establish a special position for itself thanks to its good organization in the economic field, and also its declaration as an emirate independent of the Ottoman Empire in 1913A.D. This excellent organization can be attributed to the Sunoosi Zawya (teaching mosque) which

* Dept. of History/ College of Arts/ University of Mosul.

functioned as governmental institutions managing people's affairs in the social, economic and religious fields.